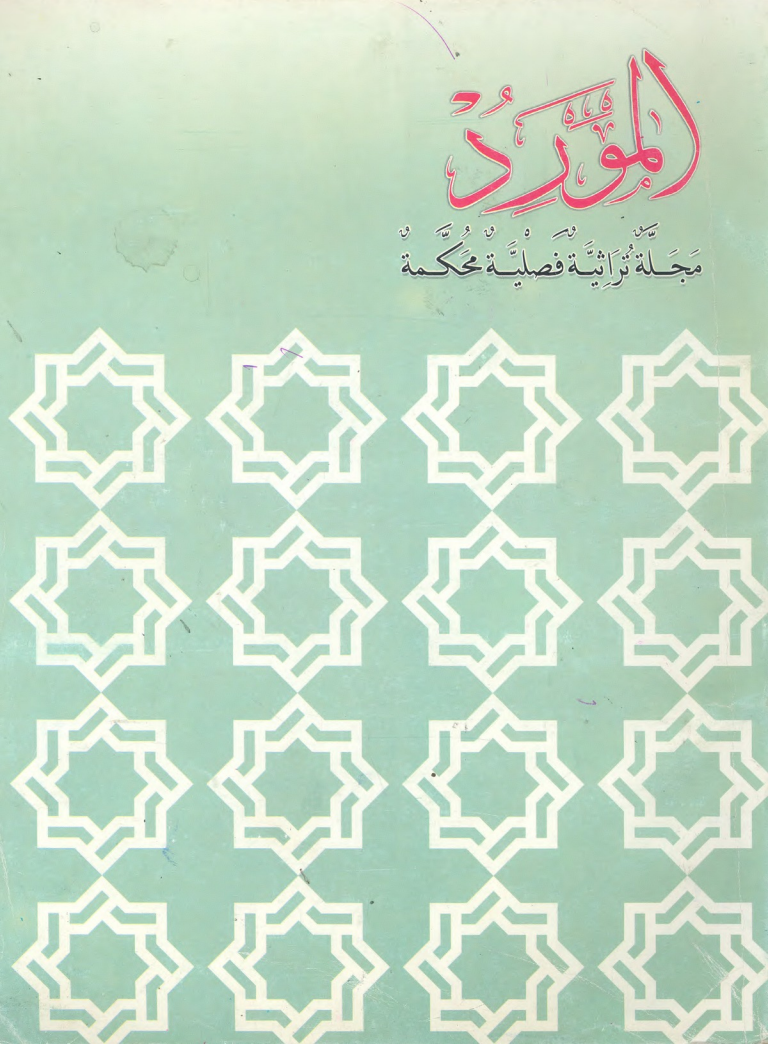
المورد
مجلة تراثية فصلية محكمة

توثيق نسبة كتاب (فعلت وأفعلت) لأبي حاتم السجستاني

بقلم الاستاذ

خليل ابراهيم العطية

مدرس اللغة العربية في كلية الآداب ـ جامعة البصرة

لعل من أولى مهمات المحقق التثبت من صحة نسبة الكتاب الذي يحققه لمؤلفه ، وقد حامت حول كثير من الكتب شبهات في نسبتها الى مصنفيها ، ولم تزل خزائن المخطوطات تزخر بالعديد من نفائسها معزوة الى غير مؤلفيها جهلا من النساخ أو سهواً أو تسرعاً منتظرة من يميط اللثام عن مؤلفيها الحقيقيين ، ولقد طبع أكثر من كتاب منسوباً الى غير صاحبه مثال ذلك الكتاب المنشور باسم « نقد النثر » والمنسوب خطأ الى قدامة بن جعفر ليس في الحقيقة غير « البرهان في وجوه البيان » لابن وهب الكاتب[1] وكتاب التبيان في شرح الديوان المنسوب لابي البقاء العكبري ليس له على رأي استاذنا المرحوم الدكتور مصطفى جواد بل لابن عدلان الموصلي[2] وكتاب الكرم المنشور ضمن « البلغة في شذور اللغة » بيروت ١٩٠٨م والمنسوب على جهة التغليب للاصمعي ليس له وانما هو لأبي حاتم السجستاني[3] وأشباه هذه الكتب كثير لا مجال لحصرها .

وقد يكون مصدر الوهم من المفهرسين فيتعجلون في الامر وينسبون الكتاب الى غير صاحبه كما جرى للأمالي المنسوب لأبي علي المرزوقي[4] وكما حدث لكتاب أبي حاتم السجستاني « فعلت وأفعلت » وعند ذلك يحتاج المحقق الى دراسة المخطوط دراسة داخلية يقرر في ضوئها هل الكتاب لصاحبه أم لا ؟

وقبل أن نوثق نسبة كتاب ابي حاتم له نود أن نتبين ـ بشيء من الايجاز ـ قيمته ونستكنه أهميته ونجلو أثره .

يتناول الكتاب الحديث عن صيغتي « فعل وأفعل » فيعالج ما ورد منها في كلام العرب ، ويتجلى منهج المصنف من ايراده احدى الصيغتين فيذكر على العموم بعد ايراده احداهما مضارعه ويشفعه بالمصدر ولكنه لا يلتزم بهذا فقد يورد الفعل ومضارعه دون المصدر ثم يعمد الى الشواهد فيعضد رأيه بآية أو حديث أو مثل أو بيت شعر .

وتظهر أهمية الكتاب في الميدان اللغوي لأنه يمثل وأشباهه حلقة من المؤلفات اللواتي سبقت وضع

---

(١) نشر الكتاب بتحقيق الدكتور احمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثي ـ بغداد ١٩٦٧ .

(٢) انظر مجلة المجمع العلمي العراقي ٦ (١٩٥٩) ص ١٥٢ .

(٣) انظر الدكتور رمضان عبدالتواب : مجلة المكتبة ٥٧ (١٩٦٧) ص ١٤ـ١٦ .

(٤) منه قطعة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٣٠٠ آداب ولنا كلام عليه في حلقة قادمة .

المعجمات الكبرى فكانت لها خير معين أغناها ووطد منها الاركان .

ذلك أن معجمات اللغة لم تبلغ ما بلغت الا بعد أن مرت بطور مهد لها السبيل وأنار لها الدرب ، وقد عمد علماء العربية بادىء أمرهم الى جمع مفردات اللغة عن طريق مشافهة الأعراب وسؤالهم أو العيش بين أكنافهم فسجلوا منها ما أمكن وحفظوا ما استطاعوا ، ولجأ علماء القرنين الاول والثاني من الهجرة الى تدوين رسائل صغيرة تعالج موضوعات معينة فلأبن الكلبي (٢٠٤ هـ) على سبيل المثال : كتاب في الخيل وآخر في السيوف[٥] ولقطرب (٢٠٦ هـ) كتاب في خلق الفرس[٦] ولأبي عبيدة (٢١٠ هـ) كتاب في الخيل والزرع والرحل والدلو[٧] وللفراء (٢٠٧ هـ) كتاب في الايام والليالي والشهور[٨] وللأصمعي (٢١٦ هـ) كتب في السلاح والدارات وأسماء الوحوش وهكذا .

ولم يقتصر جهدهم على هذه الموضوعات بل تجاوزوها الى جمع الافعال والصيغ وظواهر اللغة فظهرت رسائل في الاجناس وفعل وأفعل والأضداد ... الخ وقد كانت تلك الرسائل التمهيد لظهور الموسوعات المبنية على جمع المادة حسب المعاني والموضوعات ، فجمعت تلك الرسائل المختلفة في مؤلف واحد مختلف الابواب تتفق أبوابه مع أسماء الرسائل المشار اليها كمعجم الغريب المصنف لأبي عبيد القاسم بن سلاّم (٢٤٤ هـ) الذي ضم أبواباً : في خلق الفرس والابل والأفعال ... الخ ومثل ذلك : المخصص لابن سيده (٤٥٨ هـ)[٩] .

(٥) ابن النديم : الفهرست ٨٤ .
(٦) إنباه الرواة ٣/٢٢٠ .
(٧) وفيات الاعيان ٤/٣٢٦ وكتاب الخيل مطبوع بحيدر آباد الدكن في الهند .
(٨) وهو مطبوع بتحقيق ابراهيم الابياري مط . الاميرية ١٩٥٦م .
(٩) انظر : الدكتور رمضان عبدالتواب في لحن العامة والتطور اللغوي ٦٠ .

واذن فخطر كتاب ابي حاتم يتجلى في أنه واشباهه كان في عداد المصنفات المهدة لظهور موسوعات المعجمات اضافة الى انه يجلو ظاهرة لغوية تختص بالافعال فيضيف الى محصولنا اللغوي اشياء جديدة وينقل الينا آراء علماء ألفوا في الموضوع نفسه أعني (فعل وأفعل) ولم تصل الينا مؤلفاتهم وهم : ابو زيد الانصاري والأصمعي وابو عبيدة .

* * *

يوم قر عزمي على تحقيق كتاب « فعلت وأفعلت » كان لابد لي من توثيق نسبته لأبي حاتم السجستاني ، ذلك أني ألفيت كارل بروكلمان[١٠] ينسبه الى الاصمعي ناقلا من فهرس دار الكتب المصرية[١١] .

وقد اقتضاني أمر التحقق في النسبة ملاحظة أمرين :

أ ـ العنصر التأريخي المشتمل على ذكر من ألمع اليه من القدماء .

ب ـ العثور على نصوص واقتباسات توافق ما جاء في الكتاب أو تقاربه منسوبة الى ابي حاتم مؤلفه .

أ ـ العنصر التاريخي :

أقدم من أشار الى كتاب ابي حاتم ابن خير الاشبيلي (٥٧٥ هـ) في فهرسة ما رواه عن شيوخه[١٢] وكان شيوخه تداولوه بينهم بالقراءة والدرس طارفاً عن تالد . قال ابن خير « كتاب فعلت وأفعلت لأبي حاتم ... حدثني بذلك كله الشيخ الاديب ابو عبدالله بن سليمان النفزي عن خاله الاديب أبي محمد غانم بن وليد المخزومي عن أبي عمر يوسف بن عبدالله بن خيرون السهمي عن صاحب الشرطة أبي القاسم أحمد بن أبان بن سيد عن أبي علي [القالي] البغدادي عن أبي بكر بن

(١٠) تاريخ الادب العربي ٢/١٤٩ .
(١١) فهرس دار الكتب المصرية ٢/٢٩ .
(١٢) فهرست الاشبيلي ٣٦١ .

دريد عن أبي حاتم سهل بن محمد السجستاني مؤلفه رحمه الله » .

وفي النص المتقدم الاسناد اللازم لتوثيق نسبة الكتاب الى ابي حاتم ، فلقد روى الكتاب عن أبي حاتم تلميذه ابن دريد وعنه رواه ابو علي القالي الذي حمله معه الى الاندلس ومن ثم تأدى بطريق الرواية الى ابن خير الاشبيلي صاحب الخبر .

وانا لنجد تأكيد ذلك في جمهرة ابن دريد في « باب ما اتفق عليه ابو زيد وابو عبيدة وكان الاصمعي يشدد فيه ولا يجيز كثرة ما تكلمت به العرب من فعلت وأفعلت »[١٣] لأنه ينقل عن شيخه ابي حاتم الكثير من آرائه ومروياته عن شيوخه : الاصمعي وأبي زيد وأبي عبيدة ، وجلها في طي الكتاب الذي نتحدث عنه .

كما كان « فعلت وأفعلت » في مصادر عبدالقادر البغدادي (١٠٩٣ هـ) صاحب خزانة الادب[١٤] .

ولا يعني سكوت كتب الطبقات عنه دليلاً ينهض على عدم نسبته للسجستاني لأنها لم تلتزم باستقصاء مؤلفات الاقدمين .

ب ـ نصوص واقتباسات :

في المظان اللواتي بين يدي نقول واقتباسات مختلفة معزوة لأبي حاتم بعضها تمثل آراءه وأخرى مروياته عن شيوخه أحببت ايرادها حسب تسلسلها الزمني :

١ ـ ابن دريد (٣٢١هـ)

جاء في الجمهرة[١٥] : « قال ابو بكر محمد بن الحسن بن دريد سألت ابا حاتم عن باع وأباع فقال سألت الاصمعي عن هذا فقال : أباع فقلت قول الشاعر الأجدع بن مالك الهمداني :

ورضيت آلاء الكميت فمن يبع
فرساً فليس جوادنا بمبـاع

فقال : أي غير معرض للبيع . قال الأصمعي : لعلها لغة لهم يعني لغة اليمن .

والنص في الورقة (٣٠) من الكتاب[١٦] .

وذكر أيضاً : وينعت الثمرة وأينعت اذا أدركت وقد قرئت (من يُنعه ويانعه) وأنشد :

حولها الزيتون قد ينعا

وقال ابو حاتم مرة أخرى : الكلام الفصيح قول الحجاج اني لأرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافها[١٧] .

وهذا الاقتباس ملخص لما جاء في الورقة (٢) من الكتاب .

وجاء في الجمهرة[١٨] : يقال سلكت الطريق وأسلكته وأبى الاصمعي الا سلكته ولم يتكلم فيه لأنه في التنزيل (ما سلككم في سقر) وأجاز ابو عبيدة سلكت وأسلكت واحتج بقول الهذلي عبد مناف بن ربع .

حتى اذا أسلكوهم في قتائدة
شلاً كما تطرد الجمالة الشردا

قتائدة : ثنية معروفة . قال ابو حاتم : قال ابو عبيدة هذا مكفوف عن خبره لأن هذا البيت (آخر القصيدة ...) أهـ .

وفي بطن الورقة الثالثة من كتابنا أغلب هذا الكلام .

---

(١٣) الجمهرة ٣/٤٣٤ـ٤٤٠ .
(١٤) الخزانة (ط . السلفية) ١/٢٧٦ .
(١٥) الجمهرة ٣/٤٣٦ .
(١٦) نسخة دار الكتب المصرية ٢٦٥ لغة .
(١٧) الجمهرة ٣/٤٣٧ .
(١٨) نفسه ٣/٤٤٥ .

٢ ـ علي بن حمزة البصري (٣٧٥هـ)

ورد في كتابه (التنبيهات على أغاليط الرواة) في التعقيب على قول لبيد :

« والضاربون الهام تحت الخيضعة » .

قال ابو حاتم : انما قال لبيد : تحت الخضعة فزادوا الياء فراراً من الزحاف[١٩] . وفي الورقة (٤٢ أ) من كتاب أبي حاتم : « وانما تحت الخضعة لمكان الزحف » .

٣ ـ ابن سيده (٤٥٨هـ)

جاء في المخصص[٢٠] : قال ابو حاتم : « بدأ الله الخلق يبدأهم بدءاً وأبدأهم أي خلقهم وفي التنزيل : قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدء الخلق وفيه يُبدىء ويعيد » . أهـ . وفي كتاب ابي حاتم الورقة (٢٥ أ) مثل هذا بنصه .

٤ ـ ابن القطاع الصقلي (٥١٥هـ)

ورد في كتاب الأفعال[٢١] : « قال ابو حاتم تاح فهو تائح ومن اين تحت لنا وان شئت أتاح » والكلام بنصه مذكور في الورقة (٢٤ ب) ، كتاب ابي حاتم .

٥ ـ ابن منظور (٧١١هـ)

ورد في اللسان[٢٢] :

« قال ابو حاتم يقولون : لا يليط فقلت للاصمعي فقد أنشدناه ابو زيد عن المفضل :

الا قالت بهان ولم تأبق

نعمتَ ولا يليط بك النعيم

فقلت : فما تأبق ؟ فلم يعرفه » أهـ .

والنص بحروفه في الورقة (١٤ب) من الكتاب .

ووردَ في اللسان أيضاً[٢٣] في موضع آخر في الكلام على الحديث (حتى ينفذهم البصر » ما نصه : « قال ابو حاتم : أصحاب الحديث يروونه بالذال المعجمة وانما هو بالدال المهملة أي يبلغ أولهم وآخرهم حتى يراهم كلهم ويستوعبهم من نفد الشيء وأنفدته » أهـ .

وفي الورقة (٤٤ أ) من الكتاب ما نصه :

« ويروى أصحاب الحديث : (حتى ينفذهم البصر) وهو خطأ انما هو حتى ينفدهم البصر أي يبلغ أولهم وآخرهم حتى يراهم ولو كان ينفذهم لكان المعنى يجوزهم » .

٦ ـ عبدالقادر البغدادي (١٠٩٣هـ)

أورد البغدادي في الخزانة[٢٤] في الحديث عن الشاهد :

ليبك يزيد ضارع لخصومة

ومختبط مما تطيح الطوائح

ما نصه « قال : ومثله في كتاب فعلت وأفعلت لأبي حاتم السجستاني قال : أنشد الاصمعي (ليبك يزيدَ ضارع) أي بالبناء للفاعل ولم يعرف يزيدُ أي بالبناء للمفعول وقال : (هذا من عمل النحويين) أهـ .

وهذا الاقتباس وارد في الكتاب الورقة (٤١ب) وهو واضح الدلالة على صحة نسبة الكتاب لأبي حاتم لأنه ينص على النقل منه .

وبهذا المنهج استطعت توثيق نسبة « فعلت وأفعلت » لأبي حاتم السجستاني وعساني اوفق الى طبعه في القريب العاجل ليكون بين ايدي الدارسين والله الموفق .

---

(١٩) التنبيهات (تحقيق عبدالعزيز الميمني) ٢١٩ .
(٢٠) المخصص ٢٢٧/١٤ .
(٢١) الافعال ١٢٣/١ .
(٢٢) اللسان ابق (ط . صادر) ٣/١٠ .
(٢٣) اللسان (نفذ ٥١٥/٣) عن النهاية لابن الاثير ٩١/٥ .
(٢٤) الخزانة ٢٧٦/١ .